٩ - الحلف بغير الله

تعريف الحلف:

هو تأكيد الأمر المحلوف عليه بذكر مُعظَّم تطمئن إليه نفس المحلوف له، ولا أعظم وأجل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لذلك لا يجوز الحلف إلا به وحده سبحانه، فالمخلوق ليس له أن يحلف إلا بخالقه وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أما الخالق وهو الله عَزَّوَجَلَّ فله أن يُقسم بما شاء من مخلوقاته، وقسمُه بالمخلوق يقتضي تعظيمه، فالله تعالى يقول: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ...﴾ [الشمس:١-٤]، ويقول تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين:١-٣]، فقسم الله بهذه المخلوقات كلها يقتضي تعظيمها، أما المخلوق فلأنه ليس له إلا مُعظَّم واحد فقط لا ينبغي أن يصرف عبادة التعظيم إلا له وحده وهو الله عَزَّوَجَلَّ فلا يجوز له في أي حال من الأحوال أن يقسم بغيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن هنا ولذلك السبب جاء تحريم الحلف بغير الله واعتبار ذلك من الشرك.

فالمخلوق إذًا ليس له أن يقسم إلا بالله عَزَّوَجَلَّ وحده أو بأسمائه أو بصفاته كقول: والله، والرحمن، والعزيز، أو بصفاته كقول: وحياة الله أو ويمين الله لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دلَّت الأدلة الشرعية أن له يمين كما تليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وأحرف القسم ثلاثة: الواو والباء والتاء، وأعظمها أن يكون القسم بالتاء كقول (تالله)ثم بالباء كقول (بالله) ثم بالواو كقول (والله).

أمثلة من المجتمع على الحلف بغير الله:

فلا يجوز الحلف بالنبي، ولا بحياتك، ولا بحياة أمك، ولا بالنعمة الشريفة، ولا بالشرف، ولا بالدين، ولا بالكعبة، ولا برحمة الأم، ولا برأس الأب، ولا بحياة الأولاد، ولا بالذمة(لأن الباء حرف قسم)، ولا بالأمانة، ولا بجاه النبي، ولا بجاه الولي....الخ.

حكم الحلف بغير الله:

الحلف بغير الله محرم كما أسلفنا إذ أنَّ التعظيم المطلق لا يكون إلا لله وحده فلا يجوز الحلف بغيره سبحانه، ففي الحديث يقول

النبي ﷺ: «**ألا إنَّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**» رواه البخاري.

وقد يكون الحلف بغير الله شرك أصغر وقد يصل أحيانًا إلى الشرك الأكبر على حسب نية واعتقاد الحالف كما سيأتي بيانه إن شاء الله (لمعرفة الفرق بين الشرك الأصغر والأكبر الرجاء قراءة موضوع(تعليق التمائم) أولًا)، والدليل على أن الحلف بغير الله يعتبر من الشرك الحديث الصحيح الصريح المعروف عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» صحيح رواه أحمد. وفي المسأله تفصيل.

س: متى يكون الحلف بغير الله شرك أصغر ومتى يكون شرك أكبر؟

جـ: يكون الحلف بغير الله شرك أصغر إذا لم يقصد الشخص تعظيم المحلوف به تعظيمًا مساويًا لتعظيم الله أو أكثر يعني إذا كان الحلف بغير الله في اللفظ فقط بدون قصد التعظيم، وذلك كمن يحلف بالنبي مثلًا وهو لا يقصد أن يعظم النبي تعظيمًا مساويًا لتعظيم الله أو أكثر فهو حَلَفَ بغير الله لكنه في اللفظ فقط بدون

نيـة التعظيـم ، فهـذا يكون قـد وقع في الـشرك الأصغـر الذي لا يخرجه من ملة الإسـلام فيبقى صاحبه بمُسـمَّى مسـلم لكنه وقع في ذنب عظيم أكبر من الكبائر وله كفارته وهو دعاء كفارة الشرك الأصغر كما سيأتي إن شاء الله . ويكون الحلف بغير الله شرك أكبر إذا كان الشـخص يقصـد في حلفه بغير الله أن يُعظـم المحلوف به تعظيـمًا مسـاويًا لتعظيـم الله أو أكثر وذلك كمن يحلـف بالنبي أو بالـولي الفلاني مثلًا وهو يقصـد أن يُعظم هذا الـولي أو النبي أكثر مـن تعظيـم الله أو مثـل تعظيـم الله فهذا يكون قد وقـع في الشرك الأكبر عياذًا بالله، وذلك كما هو الحال أيضًا عند عباد القبور اليوم فإنهـم يخافون مِمَّن يعظمونه من أصحـاب القبور أكثر من خوفهم مـن الله وتعظيمـه، بحيـث إذا طُلِب من أحدهـم أن يحلف بالولي الفـلاني الـذي يعظمه لم يحلف بـه إلا إذا كان صادقًـا، وإذا طُلِب منه أن يحلف بالله حلف به وإن كان كاذبًا ، فهذا يكون قد وقع في الـشرك الأكبر الذي يخرجه من ملة الإسـلام عياذًا بالله لأنه عظم الولي (المخلوق) أكثر من تعظيمه لله (الخالق).

وهناك أدلة أخرى كثيرة تدل على أن الحلف بغير الله محرم وأنه من الشرك على اختلاف نوعه نذكر منها:

-عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تحلفوا بآبائكم، من حَلَفَ بالله فليصدُق، ومن حلف له بالله فَلْيرض، ومن لم يرض فليس من الله**» رواه ابن ماجه بسند حسن.

-وقال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا»، وبالطبع فإن الصحابي الجليل ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه لن يحلف بالله كاذبًا ولن يحلف بغيره صادقًا ولكن هذه المقولة إن دلَّت على شيء فإنما هي تدل على شدة فقه ابن مسعود وعلمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي هذه المقوله يوضح لنا الصحابي الجليل ابن مسعود عِظَم شأن الحلف بغير الله وأنه على كل حال أعظم ذنبًا من الكذب، وبيان ذلك أنَّ الحلف بالله كاذبًا تُسمَّى اليمين الغموس لأنها تغمس صاحبها في نار جهنم عياذًا بالله وهي التي يحلفها على أمر ماض كاذبًاعالمًا فهذه من كبائر الذنوب وليس لها كفارة إلا التوبة منها، ومع كل هذا فإن الحلف بغير الله أعظم منها ذنبًا ولو كان الإنسان صادقًا

لأن الحلف بغير الله شرك والشرك أعظم الذنوب بل وأقل أحواله أن يكون شرك أصغر -يعني في اللفظ فقط بدون النيه- والشرك الأصغر أعظم من الكبائر (فيكون الحلف بغير الله صدقًا أعظم ذنبا من الحلف بالله كذبًا) والواجب على المسلم الابتعاد عن كل ما نهى عنه الشرع وأن يحذر من الحلف بغير الله كل الحذر.

س: اذكر أمثلة أخرى على الشرك الأصغر المتعلِّق باللفظ فقط والموجودة في كلام بعض الناس؟

جـ: من أمثلة الشرك الأصغر أيضًا والتي تدور على ألسنة بعض الناس قول مثلًا(لولا هذا السائق لاصطدمنا بالسيارة) والصحيح أن تقول (لولا الله ثم هذا السائق لاصطدمنا بالسيارة) لأن الله وحده هو الذي يسبب الأسباب، ولا يجوز أن تقول (لولا الله وهذا السائق لاصطدمنا بالسيارة) لأن العطف بالواو في قولك (لولا الله وهذا السائق) يجعل المعطوف عليه متساويًا بالمعطوف ولا شيئ يساوي الله عَزَّوَجَلَّ وعظمته وجلاله، وذلك بخلاف المعطوف بثم في قولك (لولا الله ثم هذا السائق) حيث أنَّ (ثم) تفيد الترتيب والتعقيب مع التراخي، وأفضل الصيغ

أن تقول (لولا الله وحده لاصطدمنا بالسيارة)، وكذلك الحال في قولك (لولا الله وفلان) فلا يجوز أن تقول (لولا الله وفلان) وإنما يجوز أن تقول (لولا الله ثم فلان) والأفضل أن تقول (لولا الله وحده)، كذلك لا يجوز أن تقول لأحد: (ما شاء الله وشئت) ولكن يجوز أن تقول له (ما شاء الله ثم شئت) والأفضل أن تقول (ما شاء الله وحده) وهكذا.

- وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في شرح هذه الآية: {الأنداد هو الشرك، أخفىَ من دبيب النمّل على صفاةٍ سوداء (يعني حجرة ملساء سوداء) في ظلمة الليل (يعني لشدة خفائه)، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كُليبة هذا لأتانا اللصوص (كُليبة: تصغير كلب وذلك لأنه يصدر صوتًا عند قدوم اللصوص) ولولا البط في الدار لأتىَ اللصوص (لأن البط يصدر صوتًا أيضًا عند قدوم أحد)، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانًا هذا كله به شرك}رواه ابن أبي حاتم.

س: كيف يتوب الشخص إذا وقع في الشرك الأصغر؟ كأن يحلف بغير الله في اللفظ فقط بدون قصد التعظيم (يعني وهو لا يقصد تعظيم المحلوف به تعظيمًا مساويًا لتعظيم الله أو أكثر)؟

جـ: إذا وقع الشخص في الشرك الأصغر بأي شكل من أشكاله كأن يحلف بغير الله وهو لا يقصد التعظيم أو أن يقول شيئًا من الألفاظ الشركية كأن يقول (لولا الله وفلان) مثلًا أو غيره فإنَّ كفارة الشرك الأصغر عمومًا أن يقول هذا الدعاء الذي علمه لنا النبي ﷺ والذي سبق ذكره والتنبيه على ضرورة حفظه حيث قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: «**الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء** (يعني حجرة ملساء سوداء) **في ظلمة الليل وكفارته أن يقول: اللهم إنني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم**» رواه البخاري وأحمد. وكذلك قال ﷺ: «**من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله**».

صحيح البخاري